حِجاجيّة الحوار في رواية (الكرنك) لنجيب محفوظ

د. أميمة صبحي خليل علاء الدين
مدرس بقسم اللغة العربية
كلية الآداب- جامعة الفيوم

ملخص:

الحوار هو حلبة لتبادل الأفكار والمواقف والأيدولوجيات كما ذكر باختين، وهو بهذا المفهوم أحد صور التواصل الحجاجي الإقناعي بين الأطراف المتحاورة. وليس من ريب في أن تعدّدَ الأيدولوجيات وتباينها يُعد بيئةً خصبة لتنامي الحوار وتطوره وظهوره بأنماط مختلفة؛ لذا درست هذه الورقة البحثية أنماط الحوار في رواية الكرنك – إحدى أشهر روايات نجيب محفوظ ، وأبرزت الوظيفة الحجاجية لكل نمط حواري وربطت هذه الوظائف بمقاصد محفوظ وأهدافه في تقييم ثورة يوليو ١٩٥٢، وإبراز منجزاتها الحقيقية ورصد سلبياتها التي أدّت إلى نكسة يونيو ١٩٦٧.

Argument of Dialogue in Najeeb Mahfouz' *Karnak*

By Omayma Subhi Khalil Alaa Eldeen

Abstract:

Dialogue is an arena for the exchange of ideas, attitudes and ideologies, as Bakhtin said. In this sense, it is considered one of the persuasive argumentative means of communication between the sides involved. There is no doubt that the multiplicity and diversity of ideologies is a fertile environment for the growth, development and emergence of dialogue in different patterns. This research paper attempts an analysis of the patterns of dialogue in one of the most famous novels of Mahfouz: *Karnak.* It highlights the argumentative function of each pattern and creates a link between theses functions and Mahfouz's aims of evaluating the Revolution of July 1952, highlighting its real achievements and monitoring its negatives, which led to the June 1967 setback.

ملخص أحداث الرواية

تتناول رواية الكرنك لنجيب محفوظ الفترة الزمنية التي عاشتها مصر بين حرب النكسة عام ١٩٦٧م وحرب التحرير(حرب أكتوبر) عام ١٩٧٣م، وتعرِض الرواية مظاهرالاستبداد وقمع الحريات وكتم الأصوات المعارضة للنظام السياسي في فترة حكم الرئيس جمال عبد الناصر، فضلا عن تعرّضها لفساد أجهزة الأمن والمخابرات المصرية، وتنطلق أحداث الرواية من مقهى (الكرنك) حيث يلتقي فيه مجموعة من شباب الجامعة، وبعض المفكّرين الذين ينتقدون الثورة وأخطاءها، فيتمُّ اعتقالهم دون أسباب واضحة ودون أية جريمة. ثم يَقضي هؤلاء الشباب فترة في المعتقل، يتعرّضون خلالها للتعذيب والإهانة بشتّى الأساليب؛ حتّى يتمِّ انتزاع اعترافات منهم بجرائم لم يرتكبوها. ثمِّ يتمُّ إجبارهم من قِبل أجهزة المخابرات على العمل جواسيسَ داخل أروقة الجامعة، وفي كل مكان تطؤه أقدامهم ، وكتابة تقارير عن أيّ نشاط يمكن أن يحدث داخل الجامعة أو خارجها، الأمر الذي أحدث تمزّقات وشروخ في الجبهة الداخليّة، وأدّى في النهاية إلى إلحاق الهزيمة بمصر واحتلال سيناء من قبل إسرائيل. وفي النهاية يختمُ محفوظ الرواية بثورة التصحيح التي انتهجها الرئيس أنور السادات عندما أفرج عن المعتقلين السياسيّين، وعاقب الفاسدين وتمِّ تحقيق الانتصار على إسرائيل واسترداد سيناء عن طريق الحرب والسلام معًا.

يعد الحوار واحدا من أهم التقنيات المستخدمة في المجال الحجاجي؛ فاختلاف الأفكار وتباينها أو اتفاقها وتماثلها لا تتجلى مظاهره إلا بالحوار؛ فهو إذن أحد أهم وسائل التواصل مع الآخرين، ولا تواصل دون حجاج كما صرح طه عبد الرحمن قائلا: " لا تواصل باللسان من غير حجاج، ولا حجاج

بغيرتواصل باللسان"[١]، ويكون من خلاله المجال مفتوحًا أمام أطراف المحاورة لتُراجع قناعاتها، وأفكارها إما بالانتصار لها والثبات عليها، أو بالتراجع عنها وتبنّي قناعات أخرى.

ولذلك جعل باختين الحوار أشبه "بحلبة لتبادل الكلام وتبادل الأفكار والمواقف ووجهات النظر وتناظر العقائد، وقد يكون ذلك على الصدام أو التوافق أو الحياد". [٢]

ويكون الحجاج وسيلة المحاور إزاء صدامه أو توافقه أو حتى حياده مع الرأي الآخر؛ فيبني في خطابه " عالمًا ينتقي عناصره ويتخيَّر تفاصيله ودقائقه انتقاءً واعيًا واختيارًا مدروسًا"[٣]، فتكون غاية المحاور أن يقنع المعترض عبر ملفوظاته بما يعضّد فكرته ويثبتها وفي المقابل يقوّض فكر الآخر وينفيه.

وبهذا المفهوم تتحقق لدينا الفعالية الخطابية للحجاج التي تستهدف الإفهام والإقناع، وبهذا الاعتبار ننظر للحجاج على أنه بناء يتعالق فيه قصدان، "قصد الادعاء الذي يختص به المتكلم، وقصد الاعتراض الذي هو من حق المتلقي".[٤]

الحوار لغة:

وردت لفظة الحوار في المعاجم العربية بمعانٍ مختلفة، فالحوار مأخوذ من الجذر اللغوي (حَوَرَ)، ويحدده الفيروز آبادي في القاموس المحيط بقوله: "الحور الرجوع كالمحار والمحاورة والحؤور والنقصان وما تحت الكور من

---

[١] طه عبد الرحمن : التواصل والحجاج، دروس جامعية افتتاحية في الفكر والحضارة والمجال، جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير ،المغرب، ٢٠٠٢، ص:٥

[٢] باختين: الخطاب الروائي، ترجمة : محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، د.ط، ١٩٧٨، ص ٥١

[٣] سامية الدريدي: دراسات في الحجاج، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠٠٩، ص ١٤٧

[٤] طه عبد الرحمن : اللسان والميزان، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٨م، ص٢٢٦.

العمامة، والتحيّر، والقعر والعمق ...، وما أحار جوابا: ما ردّ، والتحاور: التجاوب" [١]

وقد وردت لفظة المحاورة في لسان العرب بمعنى: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة...، واستحار الدار: استنطقها، من الحوار الذي هو الرجوع".[٢]

ومن هذه الدلالات اللغوية التي فاضت بها المعاجم العربية، يتبين أن الجذر اللغوي (حَوَرَ) يشير إلى دلالة الرجوع، وهي دلالة تتسق مع طبيعة الحوار التي تسمح بالتعديل والتغيير والرجوع عن بعض الأفكار والآراء وفق مستجدات معينة للمحاور أو لسياق التحاور.

أما في الاصطلاح فالحوار" حديث يدور بين اثنين على الأقل ويتناول شتى الموضوعات... ويفترض فيه الإبانة عن المواقف والكشف عن خبايا النفس"[٣]، فهو ضرورة مجتمعية على مستوى الأفراد، والجماعات.

وإذا انتقلنا من عموم القول في الحوار بوصفه نمطًا اتصاليًّا، إلى خصوصية وظيفته في علم السرد والحكي، لاحظنا أن وظيفته الحجاجية تكون هي الأَوْلى والأكثر أهمية لدى المؤلف أو الراوي؛ فمن خلال الحوار يمكنه تجسيد أفكار الشخصية في صورة أقوال وملفوظات مدّعيًا من خلالها مصداقية النقل التي تُضفي عليها شرعية وطاقة إقناعية يمتاح منها منشئ الخطاب لتوجيه المخاطَب وفق مقاصده وغاياته، فالحوار بذلك " يؤدي عملًا مساعدًا للسرد في مجال تعميق الوصف التركيبي للشخصية وأحوالها في سياق الرواية".[٤]

---

[١] الفيروزآبادي: القاموس المحيط، تحقيق : مكتب تحقيق التراث إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، باب الراء، ط٨، ٢٠٠٥

[٢] ابن منظور : لسان العرب، دار صادر، بيروت، باب الراء، ط١، ١٩٩٠

[٣] جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٩، ص١٠٠.

[٤] عادل عوض : تعدد الأصوات في الرواية المحفوظية، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٩، ص ٢٥٣

وتأسيسًا على ما سبق، فإن رواية الكرنك واحدة من روايات نجيب محفوظ التي نقدت سلبيات الثورة وسقطة الانفتاح والغلاء وغياب العدل الاجتماعي والعدل القانوني ... والنصر والسلام وغير ذلك من الأحداث العامة التي تشغل كل طوائف الشعب المصري واتجاهاته المتعددة.

وجميعها أيدولوجيات وأطروحات تحتاج من نجيب محفوظ أن يعرضها في إطار فني حجاجي، يربط الأصوات بقائليها في الحوار، فيستطيع من خلالها توجيهها وفق غاياته الإقناعية ومقاصده ووجهة نظره.

وتتباين مسارات هذا التوجيه من راوٍ إلى آخر ومن خطاب إلى خطاب، فقد يعمد الراوي مثلا أن يحافظ على تناوب الأصوات لتسير نحو وجهة يقصدها ويبتغيها، وقد يقدّم لنا حوارًا مبتورًا، أو يستدعي سلطة قائليها ونفوذهم ، وقد ينتهج المزج والخلط والتداخل بين صوته وبقية الأصوات في الخطاب بهدف استعارة نجاعتها وفعاليتها الإقناعية، وكل هذه السبل والمسارات يحددها منشئ الخطاب وفق أهدافه ومقاصده[١]. وقد تجلّت هذه المسارات جميعها في رواية الكرنك كما سنعرض له لاحقا في الورقة البحثية.

ولما لاحظتُ أن آليات التشكيل البنائي لمعمار الحوار في رواية الكرنك لم يخلُ من مسارات التوجيه آنفة الذكر، خطرت لي تساؤلات هذه الورقة البحثية التي ضبطتْ حدودها **وشكّلتْ محاورها، ومنها:**

- ما غاية نجيب محفوظ أو باعثه من رواية الكرنك؟
- لماذا هدف إلى هذه الغاية؟
- كيف حقق غايته؟

[١] ينظر: عادل بن علي الغامدي، الحجاج في قصص الأمثال (مقاربة سردية تداولية)، كنوز المعرفة، الأردن، ط١،٢٠١٥ ص ٢٦٩

وعبر استنطاق الخطاب الروائي في الكرنك، تكشَّف تعدد بواعث التأليف لدى محفوظ؛ فكان منها: تقييم ثورة يوليو؛ تقييمٌ يعرِّي السقطات والزلّات، كما يمجِّد الإنجازات والأهداف. ثم ظهر باعث الرغبة في إبراز مدى انعكاس سقطات الثورة وإنجازاتها على طوائف الشعب المصري المختلفة.[١]

وقد تبع تلك البواعث باعث فرعي آخر هو الحديث عن فترة ما بين حرب النكسة وحرب التحرير[٢]، وما بينهما من فضيحة فساد المخابرات المصرية، وما تلاها من الاتهامات التي وُصِم بها أفراد من طوائف الشعب المصري، وما نالهم من الاعتقال والتعذيب وانتهاك الحريات وتكميم الأفواه وهتك الأعراض.

لقد عكست الرواية جانبا من معاناة هؤلاء الذين آمنوا بثورة يوليو ثم افترستهم آلية الديكتاتورية لاحقًا قبل النكسة بعامين أو أقل..، لقد عانى محفوظ ــ كما يبدو من غايات خطابه ــ من اضطراب تقييمي لثورة يوليو، لحقه كما لحق غيره من أبناء الشعب المصري، فهو تارةً يتبدَّى لنا متحمسًا لها، منتصرًا لقيمها ومبادئها، وأخرى يكشف عن نقمته عليها، وعلى ما فعلته بأبنائها. ولعل الجامع الوحيد في نظري بين الانتصار للثورة والنقمة عليها هو الدافع الإنساني وليس الدافع السياسي.

إذن، رصدنا الغاية والعلة، وتبقى لنا الوقوف على الآلية التي رام من خلالها إقناع الآخر تجاه هذا التضارب التقييمي للثورة ومنجزاتها، والذي من المحتمل أن يكون قد تم حسمه من قِبَل نجيب محفوظ؛ فكفر بالثورة وإن لم يكفر

---

[١] ينظر : عادل عوض، تعدد الأصوات في الرواية المحفوظية، ص ٢٦٠

[٢] نكسة ١٩٦٧ أو حرب حزيران أو حرب الأيام الستة هي حرب نشبت بين دولة الاحتلال الإسرائيلي وكل من مصر وسوريا والأردن عام ١٩٦٧، انتهت باحتلال إسرائيل لقطاع غزة والضفة الغربية وسيناء وهضبة الجولان. والمقصود بحرب التحرير هي حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣.

بمبادئها، المهم أننا أمام قناعتين؛ أو بالأحرى إزاء قناعة واحدة مرت بأطوار تكوين، بدأ الطور الأول فيها بمرحلة الإيمان بالثورة والامتنان لها، وهو الطور الذي كشفته بعض الأصوات في الخطاب الكرنكي، كما ورد على لسان قرنفلة صاحبة المقهى " لنحمد الله الذي أنعم علينا بالثورة".[١]

ثم تلاه الطور الثاني الذي تشكَّلت من خلاله زعزعة ذاك الإيمان وخلخلته، وهذا ما كشفته عبارة إسماعيل الشيخ مخاطبًا الراوي: " في السجن اجتاحنا الضياع فاهتزّ بناؤنا المتين من أساسه".[٢]

ثم انتهى محفوظ بالطور الثالث الذي استحال فيه الإيمان كفرًا، والتصديق تكذيبًا، والسعادة حزنًا وكآبة، تقول قرنفلة تعقيبا على توالي حملات الاعتقال غير المبررة: " هل نحزن لأمور تقع بانتظام مثل الشروق والغروب؟ ... سوف يعودون، وسيجلسون بيننا كالأشباح، وعهد الله أن أسمِّي المقهى وقتذاك (مقهى الأشباح) ".[٣]

فإذا تساءلنا عن الاستراتيجية[٤] التي توسلها نجيب محفوظ لتحقيق غايته الإقناعية ألفيناها استراتيجية الحوار، التي عمد من خلالها إلى تشكيل الحوار وبنائه بالصورة التي تخدم أهدافه ومقاصده الحجاجية، لما للحوار من خاصية

---

[١] نجيب محفوظ: الأعمال الكاملة، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٠، ص ٥١٥

[٢] السابق: ص ٥٢٦

[٣] السابق: ص ٥٢٣

[٤] مفهوم الاستراتيجية: إن الإنسان "عندما يمارس أفعالا فإنه يريد من ورائها تحقيق الأهداف، ولا يمكنه تحقيق هذه الأهداف إلا بمساعدة سياق المجتمع الذي ينتمي إليه، ولذلك فإنه يتخذ طريقة معينة يتمكن بها من مراعاة الظروف التي تحيط بعمله أولا ؛ أي عناصر السياق، وتمكنه من بلوغ قصده ثانيا". ينظر: عبدالهادي بن ظافرالشهري، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دارالكتاب الجديدة، بيروت، ٢٠٠٤: ص ٢٤

جذب " للمتقبّل الحكائي الذي يتأثر بها ويستمع إلى أصواتها وقد يصبح طرفًا فيها يتبنى إحدى وجهات نظر ليختفي وراءها".[١]

من هنا جاءت تقنية الحوار تُكأة يتّكأ عليها الراوي داخل المتن الحكائي، ليحقق غاياته من خلال التنويع في أنماط الحوار، وبدراسة هذه الأنماط الحوارية، تبين أنها خمسة أنواع: الحوار التناوبي- الحوار المبتور- الحوار غير المباشر- الحوار التفاوضي- المقارعة الشخصية[٢]. وفيما يلي تفصيل ذلك:

أولا: الحوار التناوبي

في هذا النمط من الحوار يسند الراوي " الأصوات إلى أصحابها ليختفي خلف وظيفة الناقل المحايد فتكتسب أقوال المقطع الحواري القوة الإقناعية التي تستمدها بأصحابها وما تظهره من صدقية هذه النسبة " .[٣]

فمن خلال هذا التناوب بين الأصوات يَظهر السجال بينهم، ومن ثم يُستدرَج المتلقي للانخراط في هذا السجال، فيغدو مُشاركًا فيه، ومتبنيًا وجهة نظر معينة بناء على ما أظهرته من أدلة تدعم بها رأيه، وتنقض به رأي الآخر.

من ذلك ما ورد في الحوار القائم بين طه الغريب ورشاد مجدي ومحمد بهجت حول محاولة تفسير غياب شباب المقهى لعدة أسابيع وعلى رأسهم حلمي حمادة وإسماعيل الشيخ وزينب دياب:

"ويوما قال طه الغريب: سمعت عن أنباء اعتقالات واسعة فوجمنا جميعًا وقلتُ: ولكن أغلبيتهم تنتمي للثورة...

---

[١] عادل بن علي الغامدي: الحجاج في قصص الأمثال (مقاربة سردية تداولية)، ص ٢٦٨

[٢] وردت الأنواع الثلاثة الأولى في كتاب الحجاج في قصص الأمثال للدكتور عادل بن علي الغامدي، أما النوعان الأخيران فقد وردا في كتاب الحجاج والمغالطة للأستاذ رشيد الراضي. وقد اعتمدتُ على هذه الأنماط الحوارية لمناسبتها لطبيعة الحوار في رواية الكرنك..

[٣] عادل بن علي الغامدي: الحجاج في قصص الأمثال ص ٢٧٣

فقال رشاد مجدي: ولكن وُجِد أقليّة مخالفة لا يُستهان بها.

فقال محمد بهجت: وضح الحق، قد أرادوا اعتقال المتهمين فساقوا أصدقاءهم معهم حتى يتم التحقيق"[١]

حاول الراوي عبر الأصوات الآنفة أن يقدم للمتلقي أيدولوجياتها عن الثورة، وأن يبرز مدى إيمانها بالثورة أو تخبطها واضطرابها في تقييمها وفهم آليات النظام في الحفاظ على منجزاتها..

لقد كانت الملفوظات السابقة حاملة لتأويلات متعددة حيال اعتقالات الشباب، ويمكن أن نفهم إشاريات هذه الملفوظات كما يلي:

صوت حواري	ملفوظ حواري	إشارية الملفوظ الحواري
طه الغريب	"سمعت عن أنباء اعتقالات واسعة".	تفسير(غياب الشباب سببه الاعتقال)..
الراوي	"ولكن أغلبيتهم تنتمي للثورة..."	استنكار(كيف يتم اعتقالهم وهم من أبناء الثورة ؟!)
رشاد مجدي	"ولكن وُجِد أقليّة مخالفة لا يُستهان بها".	تقديم تبرير للاعتقال ينفي استنكارالراوي(القلة المخالفة المندسّة بينهم)..
محمد بهجت	"وضح الحق، قد أرادوا اعتقال المتهمين فساقوا أصدقاءهم معهم حتى يتم التحقيق".	استخلاص النتيجة وتقديم التفسير المقبول المنطقي للغياب (النظام يجرّم المتهم المخالف وصديقه وإن كان حليفا للثورة).

[١] نجيب محفوظ: الأعمال الكاملة، الكرنك ص ٥١٧

في المقطع الحواري الآنف، تم استخلاص النتيجة التي تفسر غياب شباب المقهى تفسيرًا مقبولا منطقيًّا، قادت إليه أصوات مهّدت له ؛ فالملفوظ الحواري استدعى ملفوظا حواريّا آخر مهّد لملفوظ حواريّ آخر جديد.

وليس من ريب أن مثل هذه السجالات التناوبية بين أصوات الشخصيات تساهم حتمًا في تكوين أيدولوجية خاصة بالمتلقي الحكائي، الذي تم توجيهه من قِبل الراوي إلى غاية محددة، هي ذاتها غاية الراوي وأيدولوجيته، وهي " إقامة الحجة، ودفع الشبهة والفاسد من القول والرأي"[١] ، فأصبح الحوار الآنف تعاونًا "من المتحاورين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق".[٢]

وإذا ما اطمأنّ الراوي إلى تحقيق مقصده الحجاجي، فإنه يحاول توطيد أركانه داخل الذات المتلقية، فلا يبرح يترك متلقيه حتى يوقعه في شركٍ حجاجيٍّ جديد، فيحاول انتهاك نظام التناوب الحواري المعيَّن بأصوات حوارية محددة، إلى حوار تناوبي غير معيّن الأصوات، فيغدو نظامًا حواريًّا مرتكزًا على التعتيم أو الإخفاء المقصود لماهيّة الصوت الحواري. وهذا ما يجسِّده المقطع الحواري التالي الذي مهّد له الراوي قائلًا :[٣]

" وجرى الحديث بيننا تعليقًا على الحدث:

- الاعتقال فعلٌ مخيف حقًّا.
- وما يُقال عمّا يقع للمعتلقين أفظع.
- شائعات يقشعرُّ منها البدن.
- لا تحقيق ولا دفاع.

---

[١] صالح بنعبد الله بن حميد: أصول الحوار وآدابه في الإسلام، دارالمنارللنشروالتوزيع، جدة، ط ١، ١٩٩٤، ص ٨

[٢] نفسه

[٣] نجيب محفوظ: الأعمال الكاملة، الكرنك ص ٥١٧

- لا يوجد قانون أصلًا.
- يقولون إننا نعيش ثورة يستوجب مسارها تلك الاستثناءات.
- وإنه لابد من التضحية بالحرية والقانون ولو إلى حين.
- ولكن مضى على الثورة ثلاثة عشر عامًا أو يزيد فآن لها أن تستقر على نظام ثابت.

بالرغم من تعدد الأصوات المتحدثة، فإنها سارت نحو وجهة واحدة، واتفقت جميعها على تأطير الثورة إطارًا يأخذ من منجزاتها ومبادئها.

إن هذا الإسناد الحواري غير المعيّن لأصوات المتحدثين "يُفهمنا قوة هذا الصوت؛ لتعدد الأصوات المتحدثة به وتَطابق وجهات النظر حوله ... إن هذا الصوت المطلق يمد القول بقوة إقناعية كبيرة؛ إذ يحوِّله إلى حقائق مرسلة، وأقوال صادقة ليس لها معترِض، فهي أقوال مُجمَع عليها..."[١].

ولعل الحقيقة التي قاد إليها ذلك النمط الحواري التناوبي وآمنت بها معظم طوائف الشعب المصري، هي حقيقة الارتداد إلى الماضي والحُكم بأفضليته على الحاضر؛ حقيقة تجلّت كثيرا من التناوبات الصوتية غير المعينة للشخوص سوى أنهم (جماعة الشيوخ):

- " لم نصل إلى مثل هذه الحال في أي عهد من العهود.
- حسبنا ما كنّا نستظل به من حماية القانون.
- وحتى أعنف أيام الاستبداد لم تخل من صوت مُعارض حر.
- وأيام الجهاد والنفي والفداء المجيدة، كيف يمكن أن تُنسى؟

وما لبثوا أن رجعوا إلى الوراء أكثر وأكثر حتى استقرّوا في عهد ابن الخطاب والرسول، فتنافسوا في نبش الماضي يستخرجون أمجاده يتسلُّون بها عن حاضرهم" .[٢]

---

[١] عادل بن علي الغامدي: الحجاج في قصص الأمثال (مقاربة سردية تداولية)، ص ٣٠٢

[٢] نجيب محفوظ: الأعمال الكاملة، الكرنك ص ٥٢٤

لقد أفصحت سجالية الحوار الآنف عن وجهات نظر متكاملة تحدو بالقارىء نحو إقرار حقيقة؛ بطانتها اليأس والمرارة من حاضر جثم على الصدور بضراوة لم تشهدها أشد العصور استبدادًا وديكتاتورية، ولعلها إشارة إلى عصور الاستعمار الإنجليزي والفرنسي، وهي حقيقة كانت تراود الشيوخ رغم حماستهم الفاترة للثورة " لم يكن الماضي شرًّا خالصا ".[١]

ثانيا: الحوار المبتور

هو ذلك الحوار الذي يشهد انتهاكًا وخرقًا لنظام التناوب الصوتي في الحوار[٢]، فإذا كان الحوار التناوبي يتأسس على محور التبادل اللغوي بين الأصوات المتعددة المشاركة في الحوار، سواء أكانت أصوات متحدثين معيّنين (بالنعت أو بالإسم) أم غير معيّنين ، فإن هذا النمط الحواري المبتور يتأسس على محور أن المناوبة الحوارية تعبر عن استجابة الطرف المشارك في العملية الحوارية بفعل غير لغوي. ومما لا شك فيه أن رد الفعل لغويًّا كان أم غير لغوي يقوم حتمًا بوظائف سردية في المتن الحكائي، وتتعدد هذه الوظائف وفق مقصدية المبدع من خطابه السردي.

فقد يكون مثلًا من هذه الوظائف: إبراز قول معين يجسّد حقيقةً ما، وتأتي هذه الحقيقة – بالرغم من كونها وجهة نظر لأحد الأصوات – تأكيدًا لقناعة عامة لطائفة من الشعب؛ الشيء الذي تجلّى من البتر الحواري بين إسماعيل الشيخ والراوي حول تقييمه الأوَّلي للثورة، وإيمانه بها حتى حدث له أمر الاعتقال:

- " لقد ظنك البعض شيوعيا أو من الإخوان.

فقال بيقين: لا هذا ولا ذاك، وانتمائي الوحيد كان إلى ثورة يوليو أما الآن..

---

[١] السابق: ص ٥١٥

[٢] يُنظر: عادل بن علي الغامدي: الحجاج في قصص الأمثال (مقاربة سردية تداولية)، ص ٢٨٠

وجعل يهز رأسه صامتًا كأنما لا يدري ما يقول، ثم قال : وقد عشتُ دهرًا وأنا أظن أن تاريخ مصر يبدأ بالثالث والعشرين من يوليو، ولم أتجه للبحث عما وراء ذلك إلا بعد النكسة" .[١]

تزعزُع الثقة في الثورة والإيمان بها كانت هي الحقيقة التي تكشّفت أمام جموع المعتقلين ومنهم إسماعيل الشيخ، وقد أدى بتر الحوار إلى ترسيخها، وقيادة المتلقين نحو فهم محدد. عَبْر قول إسماعيل الشيخ: "في السجن اجتاحنا الضياع فاهتز بناؤنا المتين من أساسه"[٢]، وقوله بعد مثوله بين يدي خالد صفوان، مهدّم الأعصاب، رثّ الثياب " وتحلّلت البقية الباقية من آدميتي في رهبة شاملة".[٣]

وقد يكون أحدُ أهم دوافع البترالحواري الحكمَ على وجهة نظرٍ ما، كما ظهر في ملفوظ إسماعيل الشيخ خلال محاولته تبرير أخطاء الثورة والنظام، وما آلت إليه النكسة؛ فيقول مخاطبا للراوي: " لا أُخفي عنك أني أُعجبتُ بقوة المعارضة وحريتها، وبالدور الذي لعبه القضاء المصري، لم يكن العهد شرًّا خالصا، وكان به عناصر فكرية جديرة بالاستمرار والنمو والازدهار، وكان التنكُّر لها من أسباب نكستنا" .[٤]

وقد أفصح عنها أيضًا حوار خالد صفوان مع زينب دياب في محاولة منه لتبرير عنفه معها خلال التحقيق، فيقول: " إنها حماية الثورة وهي أهم على أي حال من الأخطاء المحدودة، ونحن نبادر إلى إصلاح ما ينبغي إصلاحه منها، وسوف تذهبين وقد اكتسبتِ قيمة جديدة هي صداقتنا".[٥]

---

[١] نجيب محفوظ: الأعمال الكاملة، الكرنك ص ٥٢٥

[٢] السابق: ص ٥٢٦

[٣] السابق: ص ٥٢٨

[٤] نجيب محفوظ: الأعمال الكاملة، الكرنك ص ٥٢٩

[٥] السابق : ص ٥٣٦

هذا، وقد تتجلى غايات أخرى للحوار المبتور، مثل " إظهار وجهة نظر شخصية واحدة، وذلك بتأييدها ودعمها وإخفاء الرد المعارض لها، فتكون الصوت الظاهر الذي يستدعي منا الموافقة والقبول"[١]، الأمر الذي جسّده خطاب خالد صفوان في أول ظهور له بالمقهى بعد النكسة، وتلاعبه بالكلمات التي تحيل منه مجرما وضحية في آن، فيقول موجها خطابه لقرنفلة ومن معها بالمقهى:

"براءة في القرية
وطنية في المدينة
ثورة في الظلام
كرسي يشع قوة غير محدودة
عين سحرية تعرّي الحقائق
عضو حي يموت
جرثومة كامنة تدب فيها الحياة "[٢]

لقد عمد الراوي من خلال الإفصاح عن الحوار المناوب له، إلى إبراز صوت خالد صفوان وأيدولوجيته وإقناع المتلقي بهذه الأيدولوجية، التي أقرَّ الراوي نفسه فيما تلا هذا الحوار من صفحات، أن عددا من الجالسين في المقهى قد استمالتهم كلمات خالد صفوان "فاكتسب شعبية عقب انصرافه، ونوّه كثيرون بقيمة عرضه، وبثراء مخزونه من الأسرار، بل وجد من يُدافع عنه، فيقول إنه لم يكن مسئولا عن جرائمه أو لم يكن يتحمل المسئولية الأولى"[٣]. لقد حاول خالد صفوان استقطاب الآخرين باستراتيجية حوارية تضامنية، ويقصد بها " الاستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسل إليه

[١] عادل بن علي الغامدي: الحجاج في قصص الأمثال (مقاربة سردية تداولية)، ص ٢٨٢
[٢] نجيب محفوظ: الأعمال الكاملة، الكرنك ص ٥٤١
[٣] السابق: ص ٥٤٢

ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها، ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينها، وإجمالا هي محاولة التقرب من المرسل وتقريبه"[١]، فمحاولة تأسيس علاقة ودية بينه وبين الحضور في مقهى الكرنك، وتحسين صورته أمامهم كانت من أهم دوافع هذه الاستراتيجية التضامنية.

حقيقٌ أن كلمات خالد صفوان تركت صدىً إيجابيًّا في نفوس معظم الحاضرين، إلا أنه لم ينطلِ على قرنفلة التي عقّبتْ محتدة: "زحزحوا المسئولية من شخص لشخص حتى تستقر في النهاية فوق جمعة مسَّاح الأحذية" .[٢]

ثالثًا: الحوار غير المباشر

تلوَّنت أنماط الحوار في الكرنك بما يخدم مقاصد الراوي، فظهر الحوار التناوبي، والحوار المبتور، ثم يظهر لنا الحوار غير المباشر الذي تمتزج فيه " أساليب مختلفة وأصوات من مستويات متباينة، وعناصر لغوية وغير لغوية في عملية تفاعلية موظفة بعناية داخل خطاب القصة"[٣]. وما يحدث في هذا النمط أن الراوي ينقل لنا أصوات الشخصيات في صورة حوارية إذا كانت هذه الأصوات تحمل دلالات تساهم في رفع كفاءة الحجاج، وتزيد من مقبوليتها عند المتلقي، أما إذا كانت أصواتًا لا ترقى في أهميتها ولا في وظيفتها إلى درجة الحوار المباشر، فإنها تتماهى تماما في السرد، وتختفي منها الصبغة الحوارية. وقد حفلت (الكرنك) بهذا النمط الحواري في أكثر من موضع، نجده في اختزال الراوي لقصة قرنفلة مع عارف سليمان " وقصّت عليّ قصة عادية، فقد جُنّ بها، ولكنها لم تشجعه قط. ولم تكن موارده تسمح له بالتردد الدائم على الملهى، فامتدت يده

---

[١] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دارالكتاب الجديدة، بيروت، د.ط، ٢٠٠٤، ص ٢٥٧

[٢] نجيب محفوظ: الأعمال الكاملة، الكرنك ص ٥٤٢

[٣] عادل بن علي الغامدي: الحجاج في قصص الأمثال (مقاربة سردية تداولية)، ص ٢٨٦

إلى اختلاس أموال الدولة. وظهر بين الرواد كالوارثين، ولكنها لم تنل منه مليمًا واحدًا، ولم تنشأ بينهما إلا العلاقة الرسمية التي تنشأ بحكم تقاليد الملاهي الليلية، ولم يتقدم خُطوة حتى ضُبط متلبّسا فقدّم للمحكمة ودخل السجن"[١]. هكذا لا يقدم هذا النمط الحواري إلا ما يُثير الاهتمام لدى المتلقي.

وفي موضع آخر يتم الدمج بين الحوار التناوبي (المباشر وغير المباشر) الذي يعرض فيه الراوي– مختزلا – ساردا لنا مرحلة توطيد علاقته بأسرة المقهى، فيقول: " انضممتُ إلى أسرة الكرنك بصفة نهائية ونفذتْ الأسرة في صميم حياتي. منحتني قرنفلة صداقتها ومنحتها، لعبتُ النرد مع الشيوخ محمد بهجت ورشاد مجدي وطه الغريب، عرفتُ الشباب وعرفوني خاصة زينب دياب وإسماعيل الشيخ وحلمي حمادة، كما عرفتُ زين العابدين عبد الله مدير العلاقات العامة بإحدى المؤسسات، حتى إمام الفوال الجرسون وجمعة مسّاح الأحذية وعامل النظافة صارا لي صديقين. وعرفتُ سرالكرنك الاقتصادي فهو لا يعتمد أساسًا على زبائنه المحدودين ولكن على أصحاب الحوانيت بشارع المهدي وزبائنهم، وهو السر وراء جودة مشروباته وامتيازها. ومن أسراره أيضا أنه كان – وما زال – مجمع أصوات عظيمة الدلالة، تفصح نبراتها العالية والخافتة عن حقائق التاريخ الحيّ. لا يمكن أن تُنسى أحاديث القوم على عهد انضمامي إليهم"[٢]. ثم تجلّى هذا الدمج الحواري أيضًا في خطاب قرنفلة عن مراحل تطور علاقتها بحلمي حمادة " وقد اعترفتْ لي قرنفلة بأنها هي التي بادأته بالغزل، وأمام رفاقه أيضًا. وتابعتْ مرة رأيًا سياسيًّا يُدلي به ثم هتفتْ له وهي جالسة على مقربة منه: لِيَحْيَى كل من تريد له الحياة، ولْيمُتْ من تريد له الموت، ولمّا لبّى دعوتها لزيارة شقتها في الدور الرابع من العمارة التي تقع الكرنك في أسفلها

[١] نجيب محفوظ: الأعمال الكاملة، الكرنك ص ٥١٤

[٢] السابق: ص ٥١٥

استقبلته استقبالا فاخرًا، زيّنت حجرة الجلوس بالورود ومدّت مائدة حافلة وتصاعدتْ أنغام راقصة من جهاز تسجيل".[١]

وإذا كان هذا النمط الحواري يؤدي وظيفة اقتصادية تحمل دلالة التكثيف والإيحاء، فإنها فضلا عن ذلك تلبّي أفق التوقع عند المتلقي وترفع من درجة اقتناعه، فإذا كانت الكرنك قد كشفت من خلال شخوصها وأحداثها اتصال العُرى بين الراوي وقرنفلة وزينب دياب وإسماعيل الشيخ بصفة خاصة؛ فكان لزامًا على الراوي أن يهيىء المتلقي إلى قبول مسبّبات هذه العُرى الموثّقة.

وقد أسهم الحوار غير المباشر في عمل هذه التهيئة في كثير من المواضع. منها ماورد على لسان الراوي ساردًا " وظلّتْ معلوماتي ترتكز على الخيال حتى أتيح لي بعد ذلك بسنوات أن تّفتح لي القلوب المغلقة في ظروف جدٍّ مختلفة، وتمدَّني بالحقائق المرعبة وتفسّر لي ما غمُض عليّ فهمه من الأحداث في إبّان وقوعها"[٢]، الأمر الذي أكّده في موضع آخر قبل افتتاح حواره مع إسماعيل الشيخ " وفي تاريخ متأخر نسبيّا تهيّأتْ لي ظروف وثّقتْ ما بيني وبين بعض أصدقاء الكرنك، وعند ذاك علمتُ منهم ما لم يكن لي به علم، فاطّلعتُ على خبايا الأحداث والقلوب وشربتُ الكأس حتى الثمالة".[٣]

لقد أتاح هذا النمط الحواري للراوي تصنيف الأقوال وفق الأهمية، فما هو دون الأهمية يُسرد بوصفه حدثا، ويساهم في توجيه الحوار حجاجيا، مثل أن تكون مداخلات أو عرض أيدولوجيات شخصية بما يخدم مقاصد الراوي الحجاجية، فإن الراوي يعمد إلى إبرازها بأصواته المعينة.

---

[١] نجيب محفوظ: الأعمال الكاملة، الكرنك ص ٥١٦

[٢] السابق: ص ٥١٩

[٣] نجيب محفوظ: الأعمال الكاملة، الكرنك ص ٥٢٥ ، ومنها ص ٥٢٩ (كانت التجربة قاسية)، وص٥٣٠ (ومضى زمن ...)

رابعا: الحوار التفاوضي

هو نوع من الحوار يعتمد على مبدأ المساومة لتحقيق مصلحة أحد الطرفين على مصلحة الآخر، ويصبح فيه " الاهتمام الأكبر إلى جنْي أكبر قدر من التعاون لكي يأخذ كل طرف نصيبه"[١] . وليس من ريب في أن مثل هذا النمط الحواري قد سجّل حضورا مكثفا في حوارات الاعتقالات مع زينب دياب وإسماعيل الشيخ، إذ ظهرت مساومة خالد صفوان معهما واضحة لتجنيدهما مرشدَيْن لجهاز المخابرات. وهذا ما يمثله حواره مع إسماعيل الشيخ عقب اعتقاله الأول:

- "واضح أنك تلتزم بالصمت احتراما لعهد الصداقة.

وسكت لحظة ثم استطرد: وذاك الإيمان بالصداقة يجعلنا نطمع في صداقتك! تُرى متى يأمر بالانصراف؟

- كن صديقًا لنا، قلت إنك تنتمي للثورة وأنا أصدِّقك، فَلْتكن صديقًا لنا، ألا يُرضيك ذلك؟

- إنه ليسعدني يا سيدي.

- كلنا أبناء ثورة واحدة وواجب علينا أن نصونها بقوة، أليس كذلك؟

- طبعًا.

- ولكن لا بد من موقف إيجابي، نريد صداقة إيجابية!

- إني أعتبر نفسي صديقًا منذ البدء.

- أيُرضيك أن تعلم بأن شرًّا يتهدد الثورة وتسكت عنه؟

- كلا.

[١] رشيد الراضي: الحجاج والمغالطة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠١٠

- هذا ما نطالبك به، وستذهب إلى زميل ليهديك سواء السبيل، ولكنني أحب أن أذكّرك بأننا قوة تملك كل شيء ولا تخفى عنها خافية، تكافيء الصديق وتنكّل بالخائن!".[1]

إن إشاريات ملفوظات الحوارالآنف لتؤكد سمة التفاوضية بوضوح، فالجمل الحوارية في مستهل الحوارتبدو استقطابية تعتمد تقنيات حجاجية متنوعة نحو: التكرار اللفظي أو المعنوي، كما ترتكز على صيغة التأكيد بوساطة الاستفهام الإنكاري، **وهذا تحليله:**

الملفوظ الحواري	إشاريّة الملفوظ	تقنية الحجاج
"واضح أنك تلتزم بالصمت احتراما لعهد الصداقة".	مقدمة تأسيسية وتمهيدية لما يليها.	حجة منطقية.
"وذاك الإيمان بالصداقة يجعلنا نطمع في صداقتك!"	نتيجة منطقية للجملة السببية الآنفة.	إضمار المطالبة بالصمت وعدم البوح بالمهمة المكلّف بها من جهاز المخابرات.
"كن صديقًا لنا، قلت إنك تنتمي للثورة وأنا أصدقك، فلتكن صديقًا لنا، ألا يرضيك ذلك؟"	استقطاب عاطفي	التأكيد بالتكرار اللفظي (كن صديقا لنا – فلتكن صديقا لنا). التأكيد بصيغة الاستفهام (ألا يُرضيك ذلك؟)
"كلنا أبناء ثورة واحدة وواجب علينا أن نصونها بقوة، أليس كذلك؟"	تقرير حقيقة الانتماء للثورة، وضرورة الالتزام بحمايتها وصيانتها بقوة.	الاستفهام التقريري (أليس كذلك؟).
"ولكن لا بد من موقف إيجابي، نريد صداقة إيجابية!"	تأكيد دلالة الجملة الحوارية الآنفة، من ضرورة العمل الإيجابي لأجل حماية الثورة.	التأكيد بالتكرار اللفظي(موقف إيجابي– صداقة إيجابية).

[1] نجيب محفوظ: الأعمال الكاملة، الكرنك ص ٥٣٠ –٥٣١

الملفوظ الحواري	إشاريّة الملفوظ	تقنية الحجاج
"أيُرضيك أن تعلم بأن شرًّا يتهدد الثورة وتسكت عنه؟"	إخفاء الحقيقة	المغالطة المنطقية باستخدام الألفاظ المشحونة بالمعنى الانفعالي (شر- يتهدد- تسكت عنه) واستخدام الاستفهام الاستنكاري.
"هذا ما نطالبك به، وستذهب إلى زميل ليهديك سواء السبيل"	بداية الخلاص من الأسلوب الاستدراجي والاستقطاب العاطفي.	الأسلوب الخبري التقريري.
"ولكنني أحب أن أذكّرك بأننا قوة تملك كل شيء ولا تخفى عنها خافية، تكافىء الصديق وتنكّل بالخائن!".	سقوط القناع، والكشف عن الغاية والهدف من الحوار.	الاحتكام إلى القوة (قوة المتكلم) قوة تمتلك كل شيء- لا تخفى عنها خافية- تنكل بالخائن).

وتظهر السمات التفاوضية في مقطع حواري آخر بين خالد صفوان وزينب دياب عقب الإفراج عنها بعد الاعتقال الأول:

- "لا يُصدَّق أن ما يحدث هنا مما ترضى عنه الثورة!
- إنها حماية الثورة، وهي أهم على أي حال من الأخطاء المحدودة، ونحن نبادر إلى إصلاح ما ينبغي إصلاحه منها، وسوف تذهبين وقد اكتسبتِ قيمةً جديدة هي صداقتنا.

أفحمتُ في بكاء عصبي طويل، عجزتُ تماما عن مقاومته، فتصبّر هو هادئًا حتى سكتّ ثم قال:

- ستذهبين الآن إلى أحد مُعاونيّ، وسيعرض عليك مشروع صداقة لا يُقدّر بثمن.

وصمتَ لحظات ثم استطرد:

- نصيحتي لك ألا ترفضيه، إنه فرصة العمر!" [١]

لقد كانت الاستراتيجية التوجيهية هي المسيطرة على هذا النمط الحواري، فمن خلالها يمارس أحد طرفي الحوار " فضولا خطابيا على السامع، بتوجيهه لمصلحته بما يعود إليه بالمنفعة، أو يبعد عنه الضرر" [٢]، ولعل القاسم المشترك كما لاحظنا في حوار خالد صفوان مع إسماعيل الشيخ وزينب دياب أن المساومة كانت باسم الصداقة، الاسم المستعار للإرشاد، فإذا كنت تعمل مرشدا لجهاز المخابرات، فإن هذا يعني أنك صديق للدولة وحليف لها، كما يعني أنك بوصفك صديقًا للدولة فلن تمسسك الدولة بسوء، ولن ينالك ما ينال أعداء الدولة من اعتقال وتعذيب وهوان.

لقد ساوم خالد صفوان إسماعيل وزينب على الكرامة والأمان والآدمية؛ قيم تضحى هباءً منثورا حال رفضهم عرض (الصداقة) المشروط من خالد صفوان.

خامسا: المقارعة الشخصية

من أنماط الحوار الحجاجي، وإن كانت درجة حجاجيته لا تصل إلى أعلى مستوى حجاجي؛ إذ " يقل فيه التعقل والاتزان، لأن الهدف الذي يوجهه هو مجرد الرغبة في قهر الخصم وإلجامه... ويكون الضابط لمسارها هو الهدف الأخير المتمثل في كسب هذه المنازلة الكلامية المتحررة من كل القواعد".[٣]

وإذا كان نمط الحوار التفاوضي قد احتل كثافة حضورية في فضاء الرواية عبر خطاب الاعتقال بين خالد صفوان وزينب دياب من جهة، وخالد صفوان وإسماعيل الشيخ من جهة أخرى، فكذلك احتفت الرواية بنمط المقارعة

---

[١] نجيب محفوظ: الأعمال الكاملة، الكرنك ص ٥٣٦- ٥٣٧

[٢] عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب، ص ٢٢٢

[٣] رشيد الراضي: الحجاج والمغالطة، ص ١١٣

الشخصية في سياق خطاب الاعتقال أيضًا؛ إذ طغى فيه الاتهام الموجّه للطرف الضعيف (إسماعيل وزينب)، من قِبل الطرف القوي (خالد صفوان)، وقد أفصحت ملفوظات هذا النمط عن ذلك على نحو ما يتبدى من المقطع الحواري التالي على لسان زينب دياب:

" ولما مثلتُ أمام خالد صفوان، قال لي ساخرًا: ها هي الصداقة بيننا تتوطد.

فقلت له: لا أدري لمَ قُبض عليّ؟

- ولكنني أدري.

- فما هو السبب يا سيدي؟

- السبب يرجع إلى مبادئ السيدين الجليلين ماركس ولينين!

وصمت وهو يتفرّس في وجهي بحدة، ثم قال:

- أجيبي تحت شرط ألا ترجعي للحُجة البالية؛ حُجة كيف تشكّون فينا ونحن أبناء الثورة... إلخ.

فقلتُ له وأنا يائسة تماما من إقناعه:

- لسنا شيوعيين وأقسمُ لك على ذلك.

فتمتم بغموض: يا للخسارة.

ورُميتُ في الزنزانة معرضة لعذاب مُهين لا تُقدِّر أذاه إلا امرأة...

واستدعيتُ مرة أخرى إلى حُجرة خالد صفوان فقال لي:

- أرجو أن تكوني راضية عن ضيافتنا.

فقلتُ بجرأة: كل الرضى يا سيدي، شكرا لكم.

- ها هو صديقك قد اعترف بشيوعيته!

فهتفتُ: تحت تأثير تهديدكم.

- ولكنه حقيقي بصرف النظر عن الوسيلة.

- قطعًا لا يا سيدي، إنها لفظاعة!"[١]

[١] نجيب محفوظ: الأعمال الكاملة، الكرنك ص ٥٣٥-٥٣٦

والأسلوب ذاته تكرر مع إسماعيل في أمر اعتقاله الأول، يحكي معاناته للراوي قائلًا: " وقد انتهى فجأة وعلى غير انتظار، في حجرة خالد صفوان أيضا ساقوني إليه، فبادرني قائلا:

- ثبت أن اسمك دُوّن في السجل لأنك تبرعت بقرش لبناء جامع ودون أن تكون لك صلة بهم.

فقلتُ بانفعال وتهدّج: ألم أقل لك ذلك يا سيدي؟

- الخطأ له عذر أما التهاون فلا عذر له. ثم بقوة: نحن نحمي الدولة التي تحرركم من كافة أنواع العبودية.

- وإني من أبنائها المؤمنين.

- اعتبر الأيام التي أمضيتها هنا ضيافة، وتذكّر دائمًا أنك عوملتَ معاملة طيبة، أرجو أن تتذكّر ذلك دائمًا، وأن عشرات الرجال سهروا الليالي في جهد متواصل حتى ثبتت لهم براءتك.

- الشكر لله ولكم يا سيدي".[١]

لاحظنا أن مفردات المعجم اللغوي الحواري لخالد صفوان كاد أن يكون واحدا في المقطعين الحواريين:

حوار خالد صفوان مع زينب	حوار خالد صفوان مع إسماعيل
"أرجو أن تكوني راضية عن ضيافتنا".	"اعتبر الأيام التي أمضيتها هنا ضيافة".
"كل الرضى يا سيدي، شكرا لكم".	"الشكر لله ولكم يا سيدي".
"حُجة كيف تشكّون فينا ونحن أبناء الثورة..	"وإني من أبنائها المؤمنين".

[١] نجيب محفوظ: الأعمال الكاملة، الكرنك ص ٥٢٩

وتجلت كذلك أساليب الهجوم والاتهام في الخطاب الحواري للاعتقال الثاني كما يرويها إسماعيل الشيخ، يقول أنه حين مثل بين يدي خالد صفوان:

- "وقفتُ صامتاً مستفيدا من تجربتي السابقة، متوقعا الشر- رغم ذلك من جميع الجهات الأصلية، وتفرّس خالد في وجهي وقال:

- يا لك من داهية، حسبناك يومًا من الإخوان!

فقلتُ بنبرة ذات مغزى: وظهرت براءتي!

- ولكن ما خُفي كان أعظم.

فقلتُ بإخلاص: إني مؤمن بالثورة، هذه هي الحقيقة الوحيدة.

فقال بسخرية: الجميع مؤمنون بالثورة، في هذه الحجرة يجهر الإقطاعيون والوفديون والشيوعيون بإيمانهم بالثورة!

وحدجني بنظرة قاسية ثم سأل:

- متى انضممتَ إلى الشيوعيين؟

ووثب الرفض إلى حلقي ولكنني كتمته، وارتفع منكباي بحركة عكسية كأنما ليخفيا قفاي، ولم أنبس...

عاد يسأل: متى انضممت إلى الشيوعيين؟ فواصلت الصمت.

- ألا تريد أن تعترف؟

استسلمتُ للصمت كما تعودت أن أستسلم للبلاء في الحجرة المظلمة، فتمتم: طيب..."[١]

لقد توالت أساليب الهجوم في الحوار الآنف في مقابل انعدامية وسائل الدفاع، إلى أن ظهرت أقوى وسيلة هجوم وضغط على إسماعيل الشيخ، كانت زينب دياب هي الجرح الغائر في قلب إسماعيل، فما أن نكأه خالد صفوان، فهم إسماعيل المراد:

[١] نجيب محفوظ: الأعمال الكاملة، الكرنك ص ٥٢٩- ٥٣٠

- "ها أنت تعرفها ويهمك أمرها فيما يبدو.

ونقّل عينيه الغائرتين بيننا ثم تساءل:

- ألا يهمك أمرها؟

تمزقت روحي دقيقة كاملة.

- أنت مثقف ولك خيال، فهل تتصور ما يمكن أن يحل بهذه الفتاة البريئة فيما لو أصررت على الصمت؟

سألته بنبرة رثاء موجهة للدنيا جميعا:

- ماذا تريد يا سيدي؟

- إني أسأل متى انضممتَ إلى الشيوعيين؟

فقلتُ دافنًا آخر شعاع من أمل:

- لا أتذكر تاريخًا معيّنًا ولكنني أعترف بأنني شيوعي.

وسجلتُ اعترافي على ورقة ثم غادرتُ الحجرة بين حُراسي." [١]

إن المقارعة الشخصية التي تمت بتلك التقنية الآنفة، لَتؤكد أنها تقنية حجاجية ناجعة لطرف واحد فحسب في العملية الحوارية، وغالبا ما يكون هذا الطرف هو الأقوى؛ إذ يستطيع بقوة سلطانه أو مكانته الاجتماعية أن يهيمن حصاره على الطرف الأضعف المقابل له حواريا، ويُحكم قبضته حتى يحقق المكسب والمنفعة.

وقد حاولتُ تصنيف تقنيات الهجوم ومحاولات الدفاع في المقطع الأول والثاني والثالث ودلالاتها، فوجدت ما يلي:

[١] نفسه

المقطع الحواري	تقنية الهجوم	دلالة التقنية	تقنية الدفاع	دلالة التقنية
بين زينب دياب وخالد صفوان	"لما مثلت أمام خالد صفوان". "قال لي ساخرًا: هاهي الصداقة تتوطد بيننا".	المثول بعد إلقاء القبض عليها يؤكد دلالة القهر. دلالة السخرية؛ إذ لا صداقة بين جهاز المخابرات والمتهم.	"لا أدري لما قُبض علي".	الحيرة والارتباك حيال الاعتقال.
	"ولكنني أدري".	محاصرة.	" فما هو السبب يا سيدي؟".	الحيرة والارتباك.
	-"السبب يرجع إلى مبادئ السيدين الجليلين ماركس ولينين".	محاصرة.	صمت.	الشعور بالوقوع في شرك المؤامرة.
	-"صمت وهو يتفرس في وجهي بحدة".	إلقاء الرعب والرهبة.	-"فقلتُ له وأنا يائسة تماما من إقناعه".	يأس وإحباط.
	"أجيبي تحت شرط ألا ترجعي للحُجة البالية".	إلقاء الرعب والرهبة.	"لسنا شيوعيين وأقسم لك على ذلك".	محاولة دفاع.
	"فتمتم بغموض"	عدم الاقتناع.		
	"للخسارة"	إيذان بالشروع في فعل قهري لاحق.	"ورُميتُ في الزنزانة".	فشل محاولة الدفاع.

أما تحليل خطاب المقارعة الشخصية مع إسماعيل الشيخ، فكاد أن يتشارك في تقنياته ودلالاته مع خطاب المقارعة مع زينب دياب الآنف تحليله، وهذا تفصيله:

المقطع الحواري	تقنية الهجوم	دلالة التقنية	تقنية الدفاع	دلالة التقنية
بين إسماعيل الشيخ وخالد صفوان	حين مثل بين يدي خالد صفوان " وتفرّس خالد في وجهي ".	المثول بعد إلقاء القبض عليه يؤكد دلالة القهر. إلقاء الرعب في النفس.	-" وقفتُ صامتًا مستفيدا من تجربتي السابقة، متوقعا الشر ".	الخوف من المجهول.
	" يا لك من داهية، حسبناك يومًا من الإخوان!".	محاصرة بالاتهام المباشر.	" فقلتُ بنبرة ذات مغزى: وظهرت براءتي!"	محاولة دفع هذه التهمة وغيرها من التهم الجاهزة.
	"ولكن ما خُفي كان أعظم."	إنذار بتهمة لاحقة جديدة.	-"فقلتُ بإخلاص: إني مؤمن بالثورة، هذه هي الحقيقة الوحيدة".	محاولة دفاع.
	-" فقال بسخرية: الجميع مؤمنون بالثورة، في هذه الحجرة يجهر الإقطاعيون	السخرية من حقيقة إيمانه بالثورة، واتهامه بأن كل أعداء الثورة يدّعون الإيمان بها.		

المقطع الحواري	تقنية الهجوم	دلالة التقنية	تقنية الدفاع	دلالة التقنية
	والوفديون والشيوعيون بإيمانهم بالثورة!".			
	"وحدجني بنظرة قاسية ثم سأل: متى انضممتَ إلى الشيوعيين؟".	إلقاء الرعب والرهبة.		
	"عاد يسأل: متى انضممت إلى الشيوعيين؟".	الإصرار على كسب المعركة.	-"فواصلت الصمت".	استسلام.
	" ألا تريد أن تعترف؟".	إيذان بالشروع في فعل قهري لاحق.	" استسلمتُ للصمت كما تعودتُ أن أستسلم للبلاء في الحجرة المظلمة".	استسلام.
	"فتمتم:طيب.."			
	"ها أنت تعرفها ويهمك أمرها فيما يبدو."		"تمزقت روحي دقيقة كاملة". "سألته بنبرة رثاء موجهة للدنيا جميعا:	فشل محاولة الدفاع.

المقطع الحواري	تقنية الهجوم	دلالة التقنية	تقنية الدفاع	دلالة التقنية
			ماذا تريد يا سيدي؟"	
	"إني أسأل متى انضممتَ إلى الشيوعيين؟".		"فقلتُ دافناً آخر شعاع من أمل: لا أتذكر تاريخاً معيّناً ولكنني أعترف بأنني شيوعي".	

لقد تحققت منفعة خالد صفوان من مقارعته الحوارية مع إسماعيل الشيخ كما تبيّن، والدليل أن إسماعيل قد خضع لتقنيات الترهيب والإذلال، التي تنوعت ما بين أفعال لغوية (يا لك من داهية، حسبناك يومًا من الإخوان!" -"إني أسأل متى انضممتَ إلى الشيوعيين؟"- " ألا تريد أن تعترف؟") وأفعال غير لغوية ("وحدجني بنظرة قاسية- وتفرّس خالد في وجهي)، وكلها حدت به في النهاية إلى تسجيل اعترافه على ورقة، ثم مغادرته حجرة التحقيق بين الحراس." .[١]

[١] ينظر : الكرنك ص ٥٢٩- ٥٣٠

الخاتمة والنتائج

وبعد هذه المقاربة الحجاجية لتقنية الحوار في رواية الكرنك، تخلص لنا جملة من النتائج، من أهمها:

- تكشفت العلاقة القائمة بين الحوار والحجاج، إذ يتضمن الحوار الحجاج، والحجاج جزء من بنية الحوار ، وهو أساس التفاعل الحواري بين الطرفين واستمرارية التواصل .
- أدى سياق التلفظ في الرواية إلى الكشف عن المقاصد التي كانت وراء المقاطع الحوارية.
- ساهم التنويع في أنماط الحوار على رفع كفاءة الحوار الروائي حجاجيا، وزيادة مقبولية الطرح الأيدولوجي لدى المتلقى.
- تحقيق الهدف وكسب المنفعة هما القاسم المشترك بين نمط الحوار التفاوضي ونمط المقارعة الشخصية، بيد أن الحوار التفاوضي لا يتسم بقهر المحاور ولا تعنيفه أو ترهيبه، بل محاولة التضامن معه، أو التظاهر بالتضامن معه وهي من أهم خصائص نمط الحوار التفاوضي.
- إن التنويع الحواري ساهم في رفع الطاقة الحجاجية لدى المتلقي في تبني أيدولوجية محفوظ إزاء الثورة التي مرحلت بأطوار ثلاثة؛ فجعلته يشعر مع محفوظ أن البداية كانت إيمانا وامتنانا لها، ثم حدث ما يزعز ذاك الإيمان ويخلخله، ثم تتطور الأحداث التي يستحيل فيها الإيمان كفرًا، والتصديق تكذيبًا.

ثبت المصادر والمراجع

المصـــادر:

نجيب محفوظ: الأعمال الكاملة، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٠

المراجـــع:

- باختين: الخطاب الروائي، ترجمة : محمـــد بـــرادة، دار الفكـــر للدراســـات والنشر، القاهرة، د.ط، ١٩٧٨.
- جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٩.
- رشيد الراضي: الحجاج والمغالطة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠١٠
- سامية الدريدي: دراسات في الحجاج، عالم الكتـــب الحـــديث، الأردن، ط١ ، د.ت
- صالح بن عبد الله بـــن حميـــد: أصـــول الحـــوار وآدابـــه فـــي الإســـلام، دارالمنارللنشروالتوزيع، جدة، ط ١، ١٩٩٤
- طه عبد الـــرحمن: التواصـــل والحجـــاج، دروس جامعية افتتاحية في الفكر والحضارة والمجال، جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير ،المغرب، ٢٠٠٢
- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، الـــدار البيضـــاء: ط١، ١٩٩٨م
- عادل بن علي الغامدي: الحجاج في قصص الأمثال (مقاربة سردية تداولية)، كنوز المعرفة، الأردن، ط١، ٢٠١٥

- عادل عوض : تعدد الأصوات في الرواية المحفوظية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، د.ط ٢٠٠٩
- عبد الهادي بن ظافرالشهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دارالكتاب الجديدة، بيروت،2004
- الفيروزآبادي: القاموس المحيط، تحقيق : مكتب تحقيق التراث إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، باب الراء، ط٨، ٢٠٠٥
- ابن منظور : لسان العرب، دار صادر، بيروت، باب الراء، ط١، ١٩٩٠